الفصل الرابع

عظمة الخالق وتحدي المشركين

المبحث الأول: آيات مختارة تجمع بين قدرة الخالق وتحدي المشركين.

بعد بيان آيات الخلق والتكوين للسموات والأرض وما يتبع كلاً منهما؛ أردت أن أنهي بحثي هذا بآيات تجمع بين عظمة الخالق وقدرته وتحدي المشركين والكافرين في عظمة هذا الكون وأنهم هم وما يعبدون من دون الله أعجز من أن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا.

* قال الله تعالى في سورة لقمان: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ ١٠-١١- آيتان في منتهى الروعة والتحدي فيهما إتقان الصنعة وعلوها، فالسماء مرفوعة بغير

عمد ومن يقدر على ذلك إلا القادر القوي؟! وإذا ذكرت السماء فلا بد للسامع من تصور ما فيها من مظاهر كونية أقلها للإنسان العادي أن يتصور الشمس والقمر والنجوم والكواكب والشهب، وحركتها وجريانها وحدوث الليل والنهار، وإذا ذكرت الأرض فما فيها من مظاهر طبيعية تدعو للتأمل والتفكر، خصوصاً لمن تجول فيها وشهد جبالها وأوديتها وسهولها وهضابها وأنهارها وشلالاتها ونباتاتها وزهورها ومروجها، وليس الإنسان ببعيد عن سقوط أمطارها وثلوجها، بعد هذه الإشارة إلى السماء والأرض يأتي التحدي، بأن هذا من صنع الله ومن خلقه وإبداعه، فأروني أيها الذين تعبدون الحجارة والأصنام أو تأليه بعض المخلوقات التي هي لا تعدو أن تكون ذرة في عظم هذا الكون حتى وإن كانت الشمس أو القمر أو الكواكب والنجوم، بل هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فيما ارتضوه من عبادة الدون هم في ضلال واضح بين.

البلاغـــة :

- بيان عظمة الخالق فيما خلق.
- الاستعارة، حيث استعار للجبال كلمة الرواسي لبيان مهمتها في إرساء الأرض.
- الكناية، حيث كنى عن غرس الجبال في الأرض بالإلقاء، فكأنما ألقيت في طريق حركة الأرض وهي تنزاح فكانت كالوتد المثبت لها.
- الاختزال، في ﴿**وبث فيها من كل دابة**﴾ شملت كل المخلوقات بما فيهم الإنسان.
- وكذلك الاختزال في ﴿**من كل زوج كريم**﴾ فاستغنى عن ذكر أنواع النبات.
- الالتفات، في (خلق، وألقى، وبث) إلى (أنزلنا، فأنبتنا).
- الطباق، في (**رواسي**﴾ و ﴿**أن تميد بكم**﴾.
- الاستعارة ، في (دابة) حيث استعارها لكل من يدب على الأرض أو يتحرك.

- الاختصار، في ﴿**من دونه**﴾ عبر فيها عن كافة المعبودات سوى الله.

- وردت بل التي تفيد الإضراب، وهي هنا تفيد الانتقال من غرض إلى آخر.

المبحث الثاني: لفت النظر لما في السموات والأرض باختيار آيات من سورة المؤمنون جمعت عظمة الخالق في خلق هذا الكون.

ولعل المناسب لختام هذا البحث أن أورد آيات جامعة من سورة "المؤمنون" قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ**

فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾

١٢-٢٢ – آيات كريمة تبين عظمة الله في الكون وقدرته التي لا تجاريها قدرة، بل كل مخلوق في هذا الكون هزيل ضعيف ليس له من الأمر شيء، فالله تعالى يعدد نعمه على الإنسان ابتداء من خلق الإنسان وتكوينه من التراب إلى أن وضع فيه قانون التكاثر وما سخره وأعده للإنسان ليعيش في سعادة وهناء في هذه الدنيا؛ من الماء والشجر وحيوانات النقل والسفن التي سخرها وفق قانون الطفو، وفي الحقيقة إن كل ما في هذا الكون بلا استثناء مسخر لخدمة الإنسان ومنفعته وراحته، والإنسان يستفيد منها وفق طاقته ومقدرته وتطوير قدراته.

معاني المفردات:

سلالة: ما استل من الشيء وانتزع منه، سلالة مـــن

طين، أي انتزع الإنسان من الطين.

القرار المكين: الرحم، والنطفة: هي القليل من الماء وهو هنا ماء الرجل وأرى وفق العلم الحديث أن النطفة هي: ما يتكون من التقاء الحيوان المنوي من الذكر مع بويضة الأنثى. ويتطور خلق الإنسان في رحم أمه مع الزمن وفق ما رتبه الله في هذه الآيات، من النطفة إلى العلقة إلى المضغة وبعد المضغة يبدأ شكل الإنسان بالظهور إلى أن يكتمل خلقه في تسعة أشهر على الغالب. سبع طرائق: سبع سموات. ماء بقدر: أي معلوم مقداره. شجرة تخرج من طور سيناء: هي شجرة الزيتون. صبغ للآكلين: أي هذا الدهن أو الزيت هو إدام مع الخبز عندما يغمس فيه ويتلون به.

البلاغة:

- الكناية، في سلالة، وفيها نوع من الإيماء أو الإشارة إلى المنشأ الأصل للإنسان وهو آدم عليه السلام.
- الاختزال، في نطفة، والسكوت عن بويضة المـــرأة

والمباشرة بين الزوجين.

- الكناية، كني عن الرحم بالقرار المكين، من باب ترك اللفظ إلى ما هو أجمل.
- الترتيب، في ذكر مراحل تطور الإنسان في القرار المكين.
- الإطناب، في ﴿**ثم كسونا العظام لحماً..**﴾ ففي سورة غافر- ٦٧- تجاوز مرحلة العظام إلى ﴿**ثم يخرجكم طفلاً**﴾.
- الكناية، في ﴿**خلقاً آخر**﴾ هو الإنسان السوي المختلف عن مراحل التطور التي مر بها.
- الإرصاد، ويسمى أيضاً التمكين التام- كما ذكر صاحب الإتقان- وتوقع الفاصلة في ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ وقد روي أن زيد بن ثابت كان يكتبها عندما أملاها عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال معاذ بن جبل: ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال معاذ، مم ضحكت يا رسول الله؟ قال:"بها ختمت" .

- الالتفات، في ﴿**خلقنا- جعلناه- خلقنا- أنشأناه**﴾ جاءت ﴿**فتبارك**﴾.

- التأكيد، في ﴿**ثم إنكم بعد ذلك لميتون**﴾ وكذلك ﴿**ثم إنكم يوم القيامة تبعثون**﴾.

- الكناية، في ﴿**سبع طرائق**﴾ حيث كنى بها عن سبع سموات، وهي بما ورد ﴿**سبع سموات طباقاً**﴾ فهي بعضها فوق بعض.

- القسم، في ﴿**ولقد خلقنا**﴾.

- المجاز، في ﴿**فأسكناه في الأرض**﴾ بمعنى خزناه على شكل مياه جوفية.

- الإطناب، في آية ﴿**فأنشأنا لكم به جنات**﴾.

- المجاز، في ﴿**تنبت بالدهن**﴾ حيث نسب لها إنباتها بالدهن، والله هو المنبت.

- الإطناب، في ﴿**وصبغ للآكلين**﴾ زيادة وصف في فائدتها.

- الكناية، في ﴿**وشجرة تخرج من طور سيناء**﴾

كناية عن موصوف هي شجرة الزيتون، وهذا التخصيص فيه إشارة أو إيماء لفائدتها ونفعها.

- التأكيد، في ﴿**وإن لكم في الأنعام لعبرة**﴾ للتأمل فيها وأخذ العبرة في تسخيرها، وعنى بالأنعام هنا الإبل تخصيصاً.

- الكناية، في ﴿**نسقيكم مما في بطونها**﴾ كناية عن الحليب الذي يخرج من الضرع، وفيه أيضاً إيجاز عن ذكر الطعام والشراب الذي يستحيل في بطونها إلى لبن سائغ للشاربين.

- تشبيه ضمني، في ﴿**وعليها وعلى الفلك تحملون**﴾ فالفلك سفينة البحر والجمل سفينة البر، فهناك شبه مشترك في الجريان فوق الرمال والجريان فوق البحار.

- الالتفات، في ﴿**نسقيكم مما في بطونها**﴾ و ﴿**ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون**﴾.

الخاتمـة

وبعد.. فقد تم بحمد الله تعالى هذا البحث ومن سار على الدرب وصل؛ المهم هو الدأب والمثابرة، إن استخراج الصور البلاغية من النص أمر يحتاج إلى الفهم والتبصر والرجوع إلى خبرة من سبقني وكتب في هذا الموضوع، علماً بأن كثيراً من الصور التي استخرجتها هي مما اكتسبت من خيرة البحث حيث لم أسبق إليها لأن الكتب السابقة قدمت نماذج لم تكن شاملة.

أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث وحققت الهدف المرجو وأن يكون صوابي غالب على خطئي وأن أكون قد ساهمت بإثراء البحث في هذا المجال. ولا يفوتني أن أذكر بأني قدمت هذه الرسالة لنيل درجة البكالوريوس من جامعة العلوم والتكنولوجيا بصنعاء بإشراف الدكتور عبد الغني حيدر فكان لها القبول. وبالله التوفيق.

رانية محمد منير الجنباز

قائمة المراجع

١- الإتقان في علوم القرآن- الإمام جلال الدين السيوطي- تحقيق: فواز أحمد زرملي- دار الكتاب العربي- بيروت- ١٤٢٥هـ.

٢- البلاغة العربية (البيان والبديع) د. وليد قصاب- دار القلم- دبي- ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣- البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع) - علي الجارم- مصطفى أمين- مطابع دار المعرفة بمصر.

٤- تفسر الجامع لأحكام القرآن- لأبي عبدالله محمد بن أحمد النصارى القرطبي- تحقيق: عبد الحميد هنداوي- المكتبة المصرية- صيدا- بيروت- ١٤٢٥هـ.

٥- تفسير فتح القدير- محمد بن علي الشوكاني- مجلدان- دار الكتب العربي- بيروت.

٦- تفسير القرآن العظيم- إسماعيل بن كثير- أربعة أجزاء.

٧- تفسير الكشاف- جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري- ستة أجزاء.

٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبد الرحمن بن ناصر السعدي- تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق- مكتبة العبيكان- الرياض- ط ١٤٢٤هـ.

٩- سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن- د. عودة الله منيع القيسي- دار البشير- عمان، مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٤١٦هـ .

١٠- القاموس المحيط – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي – تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة- بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط٨- ١٤٢٦هـ.

١١- معارج التفكير ودقائق التدبير- عبد الرحمن بن حسنى حبنكة- دار القلم- دمشق- ط ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن- محمد فؤاد عبد الباقي- دار الحديث- القاهرة- ١٤٢٢هـ .

١٣- من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم- د. حسن أبو العينين- مكتبة العبيكان- الرياض- ط٢- ١٤٢٥هـ.

١٤- الموسوعة الكونية الكبرى- د. ماهر أحمد الصوفي- مج١٣ - ج٢٠- المكتبة العصرية- صيدا - بيروت- ١٤٢٨هـ.

١٥- مفتاح العلوم- للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي- ضبطه وشرحه : الأستاذ نعيم زرزور- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط١- ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.